ثالثا: الآخـــر

الفصل الأول

ارنستو : حسن دون خوان بما أنك طبيب هذا المنزل وتلم بعض الشيء بالأمراض النفسية ، أرجو أن تفض لى لغزه ، ولغز شقيقتى لاورا . هناك لغز يخيم ويجثم على صدورنا جميعاً ... ، فقد بات هذا المنزل بعض سجن وبعض قبر، وبعض ....

خوان : مستشفى مجانين ...!؟

ارنستو : فعلا ... واللغز ...

خوان : شئ رهيب ياسيد ارنستو... رهيب .

ارنستو : لم أكن أعرفه ... فقد تعارفا وتزوجا عندما كنت فى أمريكا، ووجدت نفسى لدى عودتى أواجه هذا .. المجنون.

خوان : فعلا ، أصبح زوج شقيقتك لاورا : مجنوناً حقاً.

ارنستو : نعم . أدرك ذلك .. ولكن ماذا عنها ؟

خوان : هى ؟ لقد أصابتها عدوى الجنون . فالرعب يصل ويفصل بينهما .

ارنستو : يفصل فيما بينهما ؟

خوان : نعم ، فهما لاينامان معاً ، منذ اليوم الذى بدأ فيه اللغز ، وبدأ فيه جنونه ينام وحيداً ، حبيس غرفته ، حتى لايسمع أحد ما يقول فى أضغاث أحلامه . إنه يدعو نفسه "الآخر" ، وعندما تناديه زوجته باسمه "كوسمى" يرد قائلاً : لا

لست هذا، إننى الآخر. والأخطر من ذلك أن لاورا لا تعير هذا الهوس الغريب اهتماماً .. كما لو كان لهذا الآخر مغزى لديها خفياً على الآخرين . إننى لم أعرفهما إلا بعد زواجهما بأيام قلائل عندما جاءا ليعيشا هنا ، وعاشا فى بداية الأمر زوجين متحابين ، ولكن الجنون أصاب هـذا المنـــزل ، منذ ذلك اليوم المشئوم الذى عادت فيه لاورا : من رحلتها .. هذا الجنون الذى يحيرنى ، والذى يدعى الآخر..

ارنسـتـو : وهى ؟

خــوان : هى ؟ إما أنها تتجاهل ما يحدث أو تجهله بالفعل.

ارنسـتـو : وهل حدث هذا منذ زمن ؟

خــوان : منذ ما يربو على الشهر ، ولكن يبدو أن الداء كان كامناً ثم انفجر منذ زمن ليس بالبعيد ... ها هى آتية ، فلعلك أقدر منى بصفتك شقيقها على معرفة أبعاد مشكلتها سأتركه معك لتستوضحا الأمر. (تصل لاورا لدى انصرافه)

المشهد الثانى

ارنستو : – لاورا :

ارنسـتـو : عزيزتى ، لقد تحدثت مع طبيب الأسرة، هناك لغز ما...

رعب على حد وصفه ، ماذا يحدث هنا؟

لاورا : (مرتعدة ، ناظرة إلى الخلف) لا أدرى ....

ارنستو : (يأخذ بذراعها) ماذا يحدث ؟ لماذا يغلق زوجك الباب على نفسه وينام وحيداً ؟ لماذا لايريد أن يفاجئه أحد نائماً أو حالماً؟ لماذا ولماذا ماذا يحدث ؟ لماذا ؟ وماذا يعنى هذا "الأخر"؟ من هو أو من يكون الأخر؟

لاورا : آه يا ارنستو : .. لاشك أن زوجى قد جن جنونه .. يطارده ما يسميه الآخر. أى تسلط مشئوم هذا.. يبدو كما لو كان قد مسه عفريت.. ملكه شيطان .. كما لو كان هذا الآخر شيطانه الحارس .. لقد فاجأته مرة – وليس هذا من هين الأمور – يحاول أن ينتزع من داخله هذا الآخر. لقد غطى كل مرايا المنزل .وعندما فاجأنى مرة أنظر فى مرآتى .. التى أحتاجها لـ..

ارنستو : من الطبيعى أن المرآة حاجة ضرورية جداً لكل امرأة ..

لاورا : فعلا .. لقد صرخ فى قائلاً " لا تنظرى إلى المرآة ، لا تبحثى فيها عن الأخرى...

ارنستو : و.. لماذا لا يخرج من المنزل للتفريج عن نفسه؟.. لماذا يظل حبيساً دائماً أبداً..؟

لاورا : يقول إن كل الناس له مرايا ، وإنه لا يريد أن يخلو لنفسه فيهم..

ارنستو : ماذا يقرأ ؟

لاورا : لا .. ليس للقراءة دخل فى ذلك .

ارنســتــو : لا ، ليست القراءة ؟

لاورا : لا.. إن مـا أصــابه ليس هـوسـاً كـيـخـوتيـاً.. ليس هوس قراءة.. ليس هوس كتب..

ارنســتــو : وماذا تعرفين فضلاً عن ذلك ؟

لاورا : لا أريد أن أعرف أكثر من ذلك..

ارنســتــو : محـال العيش هكذا ، لابد من مـعرفة الحقيقة ، لا أستطيع أن أتركك فى يد مجنون.. قد تواتيه القدرة على ...

لاورا : لا.. يا ارنستو ، لم يصل الأمر الى هذا الحد.

ارنســتــو : من يدرى ؟ قولى لى الحقيقة إنك تعرفينها . .. أعتقد أن مـا يحدث فى هـذا المنزل يفوق الجنون.. لقد أصـاب زوجك كـوسـمـى ، مس من جنون .. جنون بـين .. جنـون مطبق بالرغم من تعقله الأشيـاء .. أو ربما لتعقله الأشياء أكثر ممـا ينبــغى .. ولكن جنونـه له ســبب .. له أصل وأنت تعرفينه ، أنت زوجته.

لاورا : هذا النوع من الأمراض ...

ارنســتــو : لا .. أنت تعلمين لماذا تفجر هذا الجنون الآن.. وماذا حدث ذاك اليوم الذى يسميه دون خوان اليوم المشئوم.. ؟

لاورا : أى يوم ؟

ارنســتــو : اليوم الذى تغـيبت فيه عن المنزل.. مـسـافرة .. ظل وحده هنا .. خالياً لنفسه ... يوم انفجر جنونه .

لاورا : لم أكن بالمنزل ، فكيف لى أن أعرف .

ارنستو : ولكن عندما عدت ووجدتيه شخصاً آخر، من المؤكد أنك علمت بما حدث . إن هذا من النوع من الجنون لا يظهر فجأة بلا سبب . أيا كان هذا السبب ، ماذا حدث فى ذاك اليوم المشئوم ؟

لاورا : أرجوك .. لا تعذبنى أكثر من ذلك ... ها قد جاء فاسأله.

المشهد الثالث

لاورا :ـ ارنستو :ـ الآخر

الآخر : (داخلا) ماذا عليه أن يسألنى يا لاورا ؟

ارنستو أنت كوسمى ... ؟

الآخر : لست كوسمى ، أنا الآخر.

لاورا : يريد أخى الذى لم تعرفه من قبل أن يسألك ...

ارنستو : لا أستطيع القول بأننى أعرفه الآن ...

الآخر : ولا أعرف أنا نفسى من أكون ...

لاورا : يريد شقيقى أن يسألك عن لغز هذا المنزل

الآخر : لغزى أنا ؟

ارنستو : نعم لغزك أنت ، لغز ذلك اليوم المشئوم ، عندما كانت زوجتك غائبة ... وأنت وحدك هنا ... مع ...

الآخـــــــر : مع الآخر

ارنســتــو : لقد تملكك هذا الهوس الغريب ... أرجوك ياكوسمى أن تترك هذا الآخر، وألا تدير رؤوسنا به

الآخـــــــر : أن أتركه ؟ من السهل عليك قول ذلك ...

ارنســتــو : حسن... إذن ففرج عن نفسك ، ازح عنها هذا الكرب .

الآخـــــــر : (يتمشى صامتا ، يتابعه الآخرون بأعينهم ... يتحدث كما لو كـان يناقش نفسـه) حـسن ... إذا أصـررت على ذلك فسينفجر هذا الذى يعتمل فى نفسى ، يأكلنى من الداخل ، سأصرخ فى صحوى بما أهذى به دون شك في أحلامى ، عندمـا أغلق البـاب على نفسى وأنام .. وستكون أنت يا ارنسـتو أول من يعرفـه ... (مـوجـهـا الحـديث إلى لاورا) انصرفى .

لاورا : لكن ...

الآخـــــــر : قلت لك اغربى عن وجهى ... اذهبى .. يجب ألا تعرفى ... رغم ... أتدركين ذلك ؟

لاورا : أنا ؟ ... زوجتك لاورا ...

الآخـــــــر : إن زوجتى لاورا تحيا كما لو كانت تعيش مع إنسان ميت . انصرفى الآن وسـأرى مـا اذا كـان اعـترافى لشـقـيـقك يهبنى حياة جديدة ... يبعثنى من جديد ... انصرفى ... قلت لك انصرفى ... (تخرج لاورا) .

المشهد الرابع

الآخر ـ ارنستو

" يتوجه الآخر إلى الباب ويغلقه من الداخل بالمفتاح ، يحتفظ بالمفتاح بعد أن يعض عليه بأسنانه ، يتجه إلى ارنستو ويدعوه إلى الجلوس ، يجلس ارنستو فى مواجهته ... تفصلهما مائدة صغيرة . يجلس الآخر مرتكزا بمرفقيه على المائدة واضعا رأسه بين كفيه قائلا "

الآخـــــر : سوف تسمع اعترافى... لا...لا... أمتمالك أنت نفسك ؟

ارنستــو : إننى هادىء..

الآخـــــر : الناس تخشى البقاء بمفردها مع إنسان يرتابون فى جنونه بقدر ما تخشى دخول المقابر ليلا بمفردها ، يؤمنون أن المجنون كالميت . ولهم الحق فى ذلك لأن المجنون يحمل فى داخله إنسانا ميتاً .

ارنستــو : فلننته من الأمر

الآخـــــر : ولكننى لم أبدأ بعد

ارنستــو : إذن فلنبدأ

الآخـــــر : سأبدأ ... لقد حدث ذلك منذ ... لا أتذكر منذ متى ... لقد ذهبت شقيقتك ، زوجتى لاورا لقضاء بعض حاجات الأسرة ، تركتها تذهب بمفردها لأننى أردت البقاء

وحيدا ، أراجع بعض أوراقى ، أحرق ذكريات لأخصب برمادها ذاكرتى ... كنت فى حاجة لتصفية بعض الحسابات مع نفسى ، أصالح نفسى وأسالها ... وذات مساء عندما كنت أجلس وحيدا ، حيث أنا الآن (مندهشا) ولكننى ما زلت هنا ؟

ارنستو : اهدأ ياكوسمى ...

الآخر : أنا الآخر ... الآخر ... لست كوسمى ...

ارنستو : فلتهدأ ... إنك معى

الآخر : معك ؟ معى ؟ كنت أنا ، كما أقول لك ، هنا ... معى ، عندما أبلغونى أن الآخر قد حضر ... رأيت نفسى أدخل من هناك ... من هذا الباب ... لا ، لاتخف ، لا تضطرب ، على أية حال هاك المفتاح (يعطيه المفتاح) آه .. أتحتفظ بواحدة من تلك المرايا الصغيرة التى تستخدم لتشذيب الشعر والشارب ...؟

ارنستو : نعم ... (يخرجها ويقدمها له)

الآخر : مرآة ومفتاح ... ليس لهما أن يجتمعا (يكسر المرآة ويلقى بها جانبا)

ارنستو : حسن ... تابع حديثك

الآخر : لاتخف ... كنت أقول إننى كنت أجلس هنا ... ورأيت نفسى أدخل كما لو كنت انتزع نفسى من مرآة ، ثم رأيت نفسى أجلس هناك ، حيث أنت رأيت نفسى أدخل ، والآخر

... أنا ... أخذ وضعي ... لا.. بل وضعك أنت .. (يرتبك ارنستو ويغير من وضعه) وأخذت أنظر إلى عينى وأدقق فيهما (ارنستو يغض من بصره قلقاً) وحينئذ شعرت بأن وعيى يذوب ، يتلاشى وتتلاشى معه روحى ، شعرت بأننى بدأت أعيش أو بمعنى آخر تنتزع منى الحياة أعود بها إلى الوراء تحدياً لاتجاه الزمن على غرار تلك الأفلام التى يرجعونها إلى الوراء ... بدأت أحيا وتتقهقر مسيرة حياتى تجاه الماضى.. اتراجع فزعاً ...استعرضت حياتى فعدت إلى العشرين من عمرى ، العشر ، الخمس ، عدت طفلاً ، وعندما شعرت بلبن أمى الطاهر على شفتى الطفوليتين مت.. مت عندما عدت بنفسى إلى يوم ميلادى.. إلى فجر ميلادنا. (يحاول النهوض)

ارنستو : فلتسترح

الآخر : أسترح ؟ من أين لى الراحة ؟ ألم تطلب منى أن أبوح بما يعتمل فى نفسى ، كيف تريد منى أن أستريح دون إزاحة هذه الغمة ؟.. لا.. لاتنهض اجلس مكانك واحتفظ بالمفتاح معك .. إننى أعزل غير مسلح .. أو ربما آلمك ما حدث لمرآتك.

ارنستو : إننى..

الآخر : أدرك أنه من الخطورة بمكان أن تظل حبيساً مع مجنون ، مع ميت، أليس كذلك ؟ لكن اسمع ...

ارنستو : إذن فلننته من هذا الأمر...

الآخر : .. بعد برهة بدأت أستعيد وعيي.. بعثت من جديد ووجدت نفسى جالساً هناك حيث أنت أما حيث أنا فكانت جثتي .. هنا فى نفس هذا المقعد.. كانت جثتى هنا.. ها هى ... أنا الجثة ... أنا الميت كنت هنا وقد علانى شحوب الموت (يغطى عينيه بيديه) .. أنظر إلى نفسى بعينين ميتتين.. ميتتين للأبد .. للأبد.

ارنستو : لكن .. هون عليك .. هون عليك.

الآخر : آه.. لن تكتب لي الراحة أبداً ... أبداً .ولاحتى ميتاً.. حملت جثمانى ... كم كان ثقيلاً ، بل كم هو ثقيل الآن ، هبطت به إلى هناك ... إلى القبو ثم أوصدت عليه الباب ..وما زال موصداً عليه.

ارنستو : حسن..

الآخر : لا يعنى ردك بهذه الكلمة شيئاً ، سوف تأتى معى الآن إلى القبو لكى أريك جثة الآخر ، جثة من لفظ أنفاسه منى هنا ، إنه هناك يرقد فى القبو ، فى الظلام .. يحتضر فى الظلام .

ارنستو : لكن كوسمى !

الآخر : تعال.. تعال .لا تخف من الميت.. سأسير أمامك وإذا كان لديك سلاح فصوبه إلى ..

ارنستو : لاتقل أكثر من ذلك ..

الآخـــــر : القول ؟ ... القول؟ إن القول لايفزع أحداً ، إنما المفزع هو العمل ... العمل ... العمل ... تعال معى لترى الآخر ميتاً ... سأسير أمامك (يذهبان ويظل المسرح خالياً ... بعد برهة يدق الباب ويأتى صوت لاورا من الخارج).

لاورا : كوسمى ... كوسمى ... كوسمى افتح (صمت) كوسمى ... كوسمى ... كوسمى ، افتح

صوت المربية : لماذا أوصد الباب ؟ كوسمى .. بنى

صوت لاورا: لا صوت ... أين هما ؟

صوت لاورا: ارنستو... ارنستو ... ارنستو ... علينا كسر الباب .

صوت المربية : انتظرى (تنادى من جديد) كوسمى ... بنى ..

صوت لاورا: كوسمى .. ارنستو...

صوت المربية : لكن ماذا تخشين ؟

صوت لاورا: لا أدرى ، أخاف الآن أكثر من أى وقت مضى .. كوسمى ... كوسمى ...

صوت المربية : كوسمى ... كوسمى ...

صوت المربية : كوسمى ... بنى افتح

صوت لاورا: كوسمى .. افتح .. لاتحبس نفسك هكذا .. افتح

الآخـــــر : (يدخل إلى خشبة المسرح يتبعه ارنستو بوجه يملأه الرعب) ها أنا قادم ... ها أنا قادم ... افتح يا ارنستو.

ارنستـــو : ها نحن قادمان (يفتح ارنستو الباب فى نفس الوقت الذى يتابع فيه الآخر بعينيه)

لاورا : (تدخل) آه .. الحمد لله ... أنت ...

الآخـــــر : ماذا تريدين يا لاورا؟ ماذا تريدين منى؟

لاورا : أنت؟

الآخـــــر : نعم . أنا .. نفسى

ارنســتــو : (موجهاً الحديث إلى لاورا : مشيراً بالمفتاح إلى الآخر) سأدعك معه ، مع زوجك ... على أن أتحدث مع المربية (ينتحى بها جانباً) أى لغز يهيمن على هذا المنزل ؟

المربيــة : على كل المنازل...

ارنســتــو : لكن ... وماذا عن الجثة التى تتعفن هناك فى ظلام القبو ؟ لو دققت فى ملامحها لقلت إنها جثة كوسمى ...

المربيــة : يالبنى المسكين

ارنســتــو : جثة من ؟

المربيـــة يا إلهى ، لقد أصابك بعدوى الجنون كما أصاب زوجته .

ارنســتــو : ولكننى رأيت الجـثـة .. رأيتـهـا بهـاتين العـينين اللتين سيأكلهما الدود ... لقد أراها لى على ضوء عود كبريت مشيحاً بوجهه عنها... يسود هذا المنزل لغز ما.

المربيــة : دع الألغاز تتعفن أيضاً .

ارنســتــو : ربما كانت هناك جريمة

المربيــة : دع الجرائم تتعفن .. يا لكم من مساكين .. لا تدع لاورا تعرف شيئاً عن ذلك ... يجب ألا تعرف شيئاً على الإطلاق .

ارنســتــو : ولكن يجب توضيح الأمر

المربيـــة : وضح كما شئت ولكن دون أن تعرف لاورا شيئاً.. اذهب الآن لتهدىء من روعها فلا أرى سبباً لهذا الرعب الذى تملكها .. لا أعرف ماذا تريد .. وماذا تخشى من زوجها ؟ .. اذهب وهدىء من روعها (موجهة الحديث للآخر) وأنت يابنى ... تعال معى (يترك الآخر لاورا مع ارنستو ، وينصرف مع المربية)

المربيـــة : بنى .. ماذا فعلت ؟

الآخــــــر : مربيتى

المربيـــة : ماذا فعلت بنفسك؟

الآخــــــر : لعلك تقصدين ماذا فعل هو بى؟

ارنســتــو (موجهاً الحديث إلى لاورا) لا تصرخى ، لماذا لم تبلغينى بكل شىء .. بكل ما يحدث فى هذا المنزل.

لاورا : ماذا يحدث؟

ارنســتــو : لم تحدثينى عن الآخر.

لاورا : هل أقتنعت بما يقول؟

ارنســتــو : لا أعرف من زوجك.

لاورا : ولا أنا.

ارنســتــو : كيف عرفته ..كيف تزوجت به؟

لاورا : ســــأقص عليك كل شىء ... ولكنى دعنى الآن ... إن كوسمى يخيفنى أكثر من أى وقت مضى ، عندما ذهبتما معا وأمرنى بالانصراف رأيت أعماق أعماقه ، أنظر إليه

.. يبدو كما لو كان يخترق الأرض بنظراته وهويتحدث مع المربية .

ارنســتــو : نعم ... إنه يخترق بنظراته أعماق الأرض،

المربيـــة : لقد حدث ما كنت أخشاه وتكهنت به ... نعم تنبأت بذلك ... تنبأت بيوم المصير المحتوم... كنت أقرأه فى عينيك.

الآخــــــر : فى عينى ميت ...

المربيـــة : تنبأت بما فعلته مع ...

الآخــــــر : (يقاطعها) لا تسميه ... أنا الآخر... وأنت ... أنت يا من ربيتنى ، أصبحت لا تعرفين من أنا ... لقد نسيت ، أليس كذلك؟

المربيـــة : نعم نسيت ، وغفرت لك

الآخــــــر : غفرت للآخر أيضاً؟

المربيـــة : لقد سامحته أيضاً ، سامحتكما أنتما الأثنين.

الآخــــــر : أماه ... لكن هذان ... أسيدركان ذلك؟

ارنســتــو : (للآخر) ستبدأ الآن هنا حياة أخرى ...

الآخــــــر : ربما تقصد موتا آخر

ارنســتــو : يجب أن يكون هذا المنزل نظيفاً مليئاً بالنور.. نور.. نور

المربيـــة : نور ؟ ولماذا النور؟

ارنســتــو : لكى يرى بعضكم بعضاً ...كى نري أنفسنا جميعاً

المربيـــة : من الأفضل ألا يرى الإنسان نفسه.

الآخــــــر : إن رؤية الإنسان نفسه تعنى الموت أو الانتحار، وعلينا أن

نعيش ... حتى لو عشنا فى الظلام ... بل من الأفضل أن نعيش فى الظلام.

الموبيـــة : ولتكن الآن نفسك من أجل الخلاص.

الفصل الثانى

المشهد الأول

ارنستو- لاورا- المربية

ارنستو : (موجهاً الحديث للمربية) والآن قولى لى الحقيقة ، كل الحقيقة

المربية : كل الحقيقة تقول ؟ ليس هناك من يتحمل الحقيقة ... ولا أريد أن أعرف شيئاً عن هذا الموضوع . لقد نسيت كل شيء . لقد نسيت كل شيء .. ولا أعرف أحداً . كان الاثنان بمثابة ابنين لى . ربيت أحدهما ، أما الثانى فقد تكفلت به أمه ، ومع ذلك أحببت الاثنين كما لو كنت أمهما .

ارنستو : لماذا تقولين " الاثنين " ؟

المربية : أتحدث عن التوأمين .. كوسمى وداميان

ارنستو : (متوجهاً بالحديث إلى لاورا) لاورا... ماذا تقول؟

المربية : أقول الحقيقة.. فلتقصها عليك كاملة شقيقتك ... لا أريد أن أتذكر الأمر .. سأنصرف (تنتحى جانباً بـ ارنستو) لا تذكر لها شيئاً عن الآخر (تنصرف)

المشهد الثانى

ارنستو– لاورا

ارنســتــو : ما الأمر؟

لاورا : سـأقص عليك كل شـيء... عندمـا وصلت مع أبينـا رحـمـه الله إلى " ريـنادا " التـقـيت بالتـوأمين كـوسـمى وداميـان ريدوندو ، كـانا متشـابهين إلى حد يصعب معـه التمـيـيز بينهما، فتن الإثنان بى فأحبانى بجنون ، وتولدت عن هذا الحب لى كراهية عميقة بينهما ... كراهية أخوية عنيدة بسبب غيرة كل منهما من الآخر ، كنت لا استطيع التمييز بينهما بسبب عدم وجود أى علامة واضحة تميز أحدهما عن الآخر.. لم يكن هناك مبرر لتفضيل أى منهما على أخيه . كما كان الزواج من أحدهما يشكل خطراً على أنا نظراً لوجود الآخر قريباً.

ارنســتــو : كان عليك أن ترفضى الاثنين.

لاورا : مستحيل لقد غزانى .. غازلانى كإعصارين. كان التناحر بينهما شرساً ، كره كل منهما الآخر كما لم يكره أحد أحداً من قبل . خفت وخافا أن يقتل أحدهما الآخر، أن يقتل كل منهما الآخر . أما أنا فقد مزقانى نفسياً . لم يكن هناك سبيل للمقاومة ... اجتاحانى بثورتهما.

ارنستو : من منهما ؟

لاورا : الاثنان ... أحدهما ... الآخر لقد اتفقا في نهاية الأمر على أن يختفي من حياتنا من لا يقع عليه اختياري زوجا لي . إنني لم أشهد عملية اتخاذ مثل هذا القرار فقد كانت رؤيتهما معا تملؤني رعباً ... وأتصور أن مشهد اجتماعهما كان رهيباً .

ارنستو : بل أعتقد أنه كان هادئاً بارداً. جهنمياً.

لاورا : لم أعرف ، ولا أعرف ، ولا أريد أن أعرف كيف اتخذا مثل هذا القرار ، كان على أحدهما أن ينفصل عن الآخر إلى الأبد ، تزوجت بمن بقي .. تزوجت بهذا .. بـ "كوسمي".

ارنستو : ولكن هل أنت على يقين أن هذا هو كوسمي؟

لاورا : ومن سيكون إذ لم يكن هو؟

ارنستو : الآخر ، كما يقول

لاورا : من؟ داميان؟ ، ياله من خاطر !

ارنستو : عليك بالهدوء

لاورا : إن اللغز قادرعلى أن يدفع بي إلى الجنون .. لأي شخص أن يتهمني بأني أصبحت مجنونة.. مجرد افتراض أن هذا .. زوجي ، هو الآخر.

ارنستو : واصلي حديثك.

لاورا : بعد أن تزوجت كوسمي اختفى داميان تماماً من حياتنا.. ثم توفي والدنا بعد فترة قصيرة من زواجنا، ربما تمزق

قلبه بسبب هذا الزواج مما أودى بحياته ... بعد فترة كتب لنا داميان يخبرنا أنه قرر الزواج ، وكم سعدت بذلك لأنه قضى بهذا القرار على مخاوفى ... مخاوفى من أن يعود يوماً ما .. وذهب كوسمى لحضور حفل زفافه ...

ارنستو : وأنت؟

لاورا : أنا ... لا ... لم أشأ ، وما كان يجب على الذهاب ، بل إننى لم أره منذ اتفاقهما على ابتعاده عنا.

ارنستو : من منهما؟

لاورا : عجباً ... بالطبع داميان ... بعد ذلك حدث أثناء غيابى عن المنزل ما قلب حياتنا رأساً على عقب ... فعندما عدت وجدت زوجى وكأنه رجل آخر.

ارنستو : كما يدعو نفسه .. إذن الذى عاد..

لاورا : الآخر... نعم .

ارنستو : داميان؟

لاورا : داميان...لا.. الآخر

المربية : (تدخل) لاورا ... هناك سيدة فى الخارج تود رؤيتك .. إنها ثائرة هل أدعها تدخل.

لاورا : فلتدخل .. لا تتصرف يا ارنستو .

المشهد الثالث

إرنستو - لاورا - داميانا

... [illegible]

داميانا : (تدخل) هل أنت لاورا زوجة كوسمى ريدوتاو؟

لاورا : نعم أنا هي ... وهذا شقيقي إرنستو.

داميانا : وأنا داميانا زوجة داميانو شقيق زوجك. جئت لأعرف ماذا فعلتم بزوجي.

لاورا : ماذا فعلت بزوجك؟ ...

داميانا : لقد قال لي قبيل رحيله منذ ... الشهر أنه آت لزيارة شقيقه ... لزيارتكم ... ولما انقطعت أخباره كتبت لكوسمي أسأله عنه، ولم أتلق رداً .. كتبت .. وكتبت .. ولا رد .. فأتيت لأسأله ماذا فعل بشقيقه.

لاورا : ماذا فعل بشقيقه ... من؟

داميانا : زوجك ... أو أنت ... ماذا فعلت بزوجي؟

لاورا : أنا؟

داميانا : نعم أنت ... وأيا كان الأمر ... ماذا فعلتما بزوجي؟

لاورا : ولكني ...

داميانا : أين أخفيتماه؟

لاورا : أين أخفيناه؟.. لماذا؟

داميانا : أنا.. أنا.. أنا.. ماذا حدث لك؟ أين أخفيتماه؟

لاورا : لكن...

داميانا : نادي زوجك.. أو من يكون.. ناده ليقول لي ماذا فعل بزوجي... ناده.

لاورا : لكن.. لا تصرخي هكذا

داميانا : بل سأصرخ.. استدعيه.. أعيدي لي زوجي.

المشهد الرابع

نفس المجموعة + الآخر

(يدخل الآخر بطيء الحركة.. تتجه إليه داميانا : لتعانقه.. يرتد مذعوراً لينظر إلى كفيه ثم يرفعهما ليحجب بهما عينيه ويهز برأسه بعنف علامة النفي)

داميانا : داميان..

لاورا : لا.. أنه كوسمي

الآخر : أنا؟ لا.. أنا الآخر.. لقد قلت لكم ذلك.. أنا الآخر

لاورا : (تعانقه كما لو كانت تود خنقه) ولكنك كوسمي .. زوجي كوسمي..

الآخر : قلت أنا الآخر.. الآخر.. الآخر.. أنتما هنا يا نقمتي الزمان؟ أجئتما لتطاردانني؟ تعذبانني؟ تنتقلان لتقتلاني؟ تتقمصان الآخر؟ يا نقمتي الزمان.. أنت لاورا.. وأنت داميانا ..

دامـيـانـا : أين زوجى داميان؟

ارنسـتــو : داميـان زوجك يا سـيدتى أو كـوسـمى زوجك يا لاورا قـتل ويرقـد فى ظلام القبو(يوجه الحديث للآخر) أيـها القـاتل.. يا قاتل أخيه..

الآخـــر : (عاقدا ذراعيه على صدره) أنا ؟.. أنا القاتل؟ ولكن من أنا ؟ من القاتل ؟ ومن المقتول ؟ ، من الجلاد ومن الضحية ؟ ، ومن قابيل ؟ ومن هابيل ؟ ومن أنا ، كوسمى أم داميان ؟ ، نعم لقد تفجر اللغز وأصبح الجنون رشداً وانقشعت الظلمات .. اقتتل التوأمان مثل "عيصو" ويعقوب".. منذ أن كانا فى رحم أمهما فى حقد أخوى .. حقد كان حباً شيطانياً . التقى الشقيقان .. التقيا عند حلول المساء ، بعد أن ماتت الشمس واختلطت الظلال وأسودت خضرة الحقول ...اكره أخاك كما تكره نفسك ... تناحر الشقيقان تملؤهما الكراهية وقد تأهب كل منهما لقتل أخيه من أجل امرأة أخرى .. شعر أحدهما بعنق الآخر يبرد بين يديه اللتين تحولتا إلى صقيع من الرعب.. نظر فى عيني شقيقه المقتول فوجد نفسه مقتولاً فيهما . لفت ظلمات الليل آلام الآخر.. من الميت ؟ ومن الأكثر مواتاً ؟ ، من القاتل؟ ومن المقتول؟

ارنسـتـو : أنت القاتل ، الجلاد أنت ... لقد جاءك أخوك ذاك المساء لزيارتك فتعاركتما بسبب الغيرة وقتلته ... قتلت أخيك.

الآخـــــــر : هذا ما حدث بالفعل.. ولكنى قتلته دفاعاً عن النفس .. لكن من أنا ؟

ارنســتــو : أنت ؟ قابيل

الآخـــــــر : قابيل .. قابيل.. قابيل.. هذا ما أقوله فى أحلامى كل ليلة لذلك أنام وحيدا بعيداً عن الجميع لكى لا يسمعنى أحد ولكى لا أسمع أنا نفسى.. ياله من مسكين قابيل .. مسكين قابيل. لو لم يقتل قابيل هابيل لقتل هابيل قابيل. إنه قدر مسطور . كنا نلهو صغاراً فى المدرسة فيسأل أحدنا الآخر فجأة " من قتل قابيل ؟ " فيرد الآخر بسذاجة قائلاً " شقيقه هابيل " وهذا ما حدث بالضبط . لكن يبقى سؤال هل سمى القاتل قابيل لأنه قتل شقيقه ، أم أنه قتله لأنه قابيل؟

ارنســتــو : معنى ذلك أنه إذا..

الآخـــــــر : معنى ذلك أننى واحداً منهما – ولتسمه كيف شئت

ارنســتــو : نعم.

الآخـــــــر : لو لم يقتل الأول الآخر لقتل الآخر الأول

ارنســتــو : ومن أنت ؟

الآخـــــــر : أنا الأول والآخر ، قابيل وهابيل ، الجلاد والضحية معاً ...

المشهد الخامس

السابقون + المربية + دون خوان .

المربيــــة : (تدخل مع دون خوان) بما أننا قد عرفنا ما يحدث...

داميانا : سيدتي

المربيــــة : انتظري يا داميانا .. بما أنني أعرف ما يحدث هنا وأرى أن اللغز ينكشف ، وإن كان لا يعين على إيضاح شيء فقد استدعيت دون خوان لوضع حد لهذا الموقف .. لابد من دفن الجثة هنا .

ارنيستــــو : إذن فالمقتول هو الآخر

الآخـــــر : لا إنه أنا

المربيـــة : انظر يا دون خوان ، أحد ابني - فالذي ربيت عزيز علي مثل من لم أربه رغم أنني لم ألد أيا منهما - قتل الآخر.. قتل أخاه . ويبدو أن الجثة ترقد في ظلام القبو أو شيئاً من هذا القبيل .. لابد من تسوية الأمر ، وعلينا جميعاً أن نتعاون في دفن هذا اللغز .. أن ندفنه نحن الستة هنا داخل المنزل وألا يتجاوز السر هذه الأبواب، وإلا يعرف العالم ما حدث .. وألا تشهد بشيء يا دون خوان كما لو كان القتيل : لم يوجد قط.. يا لـ بني المسكين !

دامـيــان : وماذا بشأن المسكين الآخر.. ابني..

خـــــوان : أي ابن يا سيدتي؟

المربيـــة : أيا ما كان [illegible]!

خـــــوان : ولكن .. هل كنت تميزين بينهما .. وهل تميزين الآن؟

المربيـــة : الآن لا، فهما واحد

خـــــوان : لكن الميت..

المربيـــة : مات الاثنان؟

الآخــر : هذا ما حدث فعلا وهو قدر لا سبيل إلى رده [illegible]

خـــــوان : نعم، من الأفضل للجميع إخفاء الأمر، أي إنه إذا كانت

[illegible] الأرملة [illegible]

إرنستو : ومن تكون الأرملة [illegible]

القس : (متوجها بالحديث إلى لاورا ودامیانا) ماذا تخفيان؟ من

منكما تدعي أنها الأرملة؟ أم تريدان أن تكونا أرملتين؟

أم زوجتين لي؟ من تحبان؟ الميت أم الحي الأكثر مواتا؟

آه لاشك أنكما تعشقان القاتل، تريدان قابيل ولو حتى

من قبيل الشفقة، يالك من مسكين يا قابيل، ولكن أقول

لكما إن هابيل أيضا يستحق الشفقة، يالك من مسكين

يا هابيل [illegible]

إرنستو : [illegible] (متوجها الخبيث إلى داميانا)

والآن فلتبقي يا سيدتي في منزلك أو [illegible] منزلك ولتنتظري

حتى تتضح الأشياء [illegible] والآن تعالوا معي إلى القبو لكي

[illegible] الآخر (ينصرف إرنستو ومعه لاورا، وداميانا [illegible]

[illegible] خوان) [illegible]

المشهد السادس

الآخر والمربية

المربيــة : لكن بنى ... ماذا فعلت بأخيك ؟

الآخـــر : (متنهدا) مازلت أحمله داخلى ميتاً.. ولكنه يقتلنى .. يقتلنى ..سوف يقضى عليّ.. إن هابيل لايغفر .. لا يسامح .. هابيل شرير. نعم إنه شرير ولو لم يقتله قابيل لقتل هو قابيل ..هاهو يقتلنى.. يقتلنى هابيل ... هابيل ماذا تفعل بأخيك ، شرير قاتل كل من استباح لنفسه أن يكون ضحية ، وشرير قاتل من استباح لنفسه أن يكون جلاداً.. إنه انتقام شيطانى أن تكون ضحية.

المربيــة : اسمع يا...

الآخـــر : (يغلق فمها) قلت لك ألا تسميه.

المربيــة : ولكن قل لى هنا على مسمع من قلبى ... إذا قلت لك إننى نسيت فقد نسيت بالفعل.. أنت الآن بالنسبة لى الأثنان معاً ، وستظل هكذا لأنكما واحد ، الضحية والجلاد.. أهناك فرق؟ أحدكما هو الآخر.

الآخـــر : نعمم هذه الحقيقة الخالصة كلانا واحد.

المربيــة : تعال (تضمه إلى صدرها) أتتذكر عندما كان اللبن يملؤهما ؟ عندما كنت تنهل منهما الحياة ؟ كنت أتبادلكما

مع أمكما ، رضعتما أنتما الاثنان من ثديي كما رضعتما من ثدييها . تبادلناكما وبدلتكما من ثدي لآخر.. مرة من هذا بجانب قلبي وأخرى من ذاك...

الآخــــر : بجانب كبدك

المربيــة : لقد أصابهما الجفاف

الآخــــر : أكثر جفافاً منهما ثديا أمنا التي ولدتنا.

المربيــة : نعم فقد تحولا إلى تراب

الآخــــر : والآخر تراب .. وأنا تراب...

المربيــة : لماذا كنت تكرهه يا بني؟

الآخــــر : عانيت منذ كنت صغيراً من رؤية نفسي خارجي.. لم أكن أستطيع تحمل هذه المرآة الأبدية ... أن أراني دائماً خارجي ... إن طريق الكراهية يبدأ برؤية الإنسان لنفسه ، أن يرى الإنسان نفسه وجهاً لوجه.. بهذا التنافس الذي كان بيننا على من يفهم الدرس أفضل من أخيه التوأم.. كنت إذا وعيت الدرس جيداً نسبوا ذلك له.. كانوا يميزون فقط بيننا بالاسم ، أو بشريط يضعه أحدنا .. بملابسه ، وجحيم أن يكون الإنسان مجرد اسم. لقد علمني أن أكره نفسي .

المربيــة : ولكنه كان طيباً..

الآخــــر : لقد تحولنا نحن الاثنين إلى شريرين .. فعندما لا يكون الإنسان نفسه فإنه دائماً يصبح شريراً .. وما عليك إلا أن

تنظر إلى المرآة دائماً لكي تكون شريراً .. فما بالك إذا كانت مرآتك حية تتنفس

المربيـــة : وماذا عن المرأة؟

الآخـــــر : النساء ... النساء.. المغوية .. والمغوِلة

المربيـــة : إننا نعيش هنا على الأرض

الآخـــــر : نعيش في اللغز .. في اللغز نعيش .. لقد علمتني أمي الصلاة... تعلمت أن كل شيء إثنان .. كل شيء مزدوج حتى الإله مزدوج..

المربيـــة : مزدوج ؟ الرب؟

الآخـــــر : نعم فاسمه الآخر هو القدر

المربيـــة : الحتمية!

الآخـــــر : وهذا شيء آخر .. الحتمية هي زوجة القدر.. إن الرب أيضاً آخر

المربيـــة : ماذا فعلت بعقلك المسكين يا بني؟

الآخـــــر : لا .. بل قولي ماذا فعل به هو .. الرب الآخر، الذي في السماء؟ ليس العقل .. لا .. هو القلب .. إنه يكاد ينفجر ... والقلب ليس إلا ترابا.

المربيـــة : إذن فاستسلم وامتثل للمشيئة .

الآخـــــر : أتذكر أننا قد رأينا معاً عندما كنا صغاراً مأساة أوديب .. هذا المخبر العظيم .. المخبر الإلهي .. يبدأ الأمر محالاً .. لكونه أكثر الأمور التصاقاً بالحياة والحقيقة.. كان على

أوديب أيضاً أن يستسلم ويمتثل للمشيئة

المربيـــة : إذن فاستسلم لها..

الآخـــر : ولكن إلهتا الزمان ؟ اللتان يطاردني بهما ويعذبني القدر، قدرى وقدر الآخر.. هاتان إلهتا القضاء..

الآخـــر : (هاتان الأرملتان، هاتان المطلقتان السراج)

المربيـــة : فلتهدأ

داميانا : (من الداخل) فليعطوني حقي.. ما لي.. زوجي.

الآخـــر : زوجها؟

داميانا : (من الداخل) فليعطوني ما لي.. زوجي

الآخـــر : من هو زوجها؟

المربيـــة : لا أعرف.. أتعرف أنت؟

الآخـــر : أنا .. لا أعرف من أنا؟

داميانا : (من الداخل) فليعطوني والد ابني

الآخـــر : والد ابنها ؟ لا أعرف من أنا

المربيـــة : وأنا لا أعرف شيئاً.

الفصل الثالث

المشهد الأول

الآخـــــر : (مرآة كبيرة مغطاة فى نهاية المسرح ، يروح الآخر ويغدو مطأطأ الرأس ، يلوك الكلمات كما لو كان يحدث نفسه.. يبدو وكأنه استقر على رأى ، يزيح غطاء المرآة ويقف أمامها ، عاقداً ذراعيه على صدره ، يظل برهة متأملاً نفسه . يغطى وجهه بكفيه ، ينظر إليهما ، يمد ذراعيه إلى صورته فى المرآة يريد خنقها ولكن ترتد يداه إلى عنقه عندما يرى يدين آخريين تمتد إليه من داخل المرآة ، يحاول خنق نفسه .. ثم يسقط على الأرض بأعياء ، يرتكز برأسه على زجاج المرآة ناظراً إلى الأرض وينفجر فى البكاء).

المشهد الثانى

الآخر – لاورا

فى هذه اللحظة تظهر لاورا التى كانت تراقبه ، تقترب منه آتية من الخلف على أطراف أصابعها ، تضع يدها على كتفه)

الآخـــــر : (يفيق مذعوراً) من؟

لاورا : أنا ،... لاورا زوجتك..

الآخـــــر : أنت.. من تكونين؟

لاورا : نعم أنا.. لاورا زوجتك.

الآخـــــر : أنت زوجتى؟

لاورا : نعم، ألست أنت زوجى؟

الآخـــــر : زوجك ؟ زوجك ؟ .. لا ، نعم ... بل أنا قـاتلى .. لا أدرى إذا كنت قاتلاً أم منتحراً.

لاورا : دعك من التفكيرفى ذلك ... دع الميت و ...

الآخـــــر : من الميت؟ لقد نصب شقـيقك من نفسـه سـجاناً لـى حتى تتضح الأمور ... ولكنى ...

لاورا : (تنهض به من الأرض) أولاً ، دع المرآة ولا تعـذب نفسك هكذا.. لا تنظر إلى نفسك ، لا تنظر إلى نفسك ، لا تنظر إليك.

الآخـــــر : (ينهض) إلى الميت.

لاورا : (تأخذ غطاء المرآة وتحجبها ، ثم تأخذ بيد الآخر إلى أحد المقاعد وتجلسه) لا تنظر إلى نفسك مرة أخرى ، لا تقتل نفسك ... فلتحيا ، فلتحيا ، فلتحيا أنا أعرف جيداً من أنت.

الآخـــــر : ها أنت ترين ، شقيقك ارنستو ، صهرى..

لاورا : صهرك ؟ إذن فأنا زوجتك

الآخــــــر : فلتتعقلي الأمر، ولكن أنا ما أكون

لاورا : ولكن أنت..

الآخــــــر : الآخر.. لقد قلت لك ذلك . لقد نصبت شقيقك من نفسه سجاناً أو حارساً على قفص المجانين حتى ينجلي اللغز ولكن من أنا...

لاورا : أعرف جيداً من أنت .. فأنا زوجتك.

الآخــــــر : أيا كنت .. أنا ؟

لاورا : نعم ، أيا كنت ، لأن .. (تأخذ رأسه على صدرها وتربت عليه ملاطفة ، على حين يقبل هو رأسها) منذ أن قبلتني أول مرة بعد الحادث...

الآخــــــر : قوليها ..الاغتيال.

لاورا : بعد هذا الذي حدث ، أعرف أنه كان عليك أن تقتله دفاعاً عن النفس.

الآخــــــر : كل اغتيال يرتكب دفاعاً عن النفس .. وكل قاتل إنما يقتل دفاعاً عن نفسه ، يدافع عن نفسه ضد نفسه...

لاورا : دعك من هذه التأملات وتعال (تلاطفه)

الآخــــــر : نعم أنت ... أنت تريدين مني أن أنسى...

لاورا : بالطبع

الآخــــــر : لا أستطيع النسيان

لاورا : منذ أن قبلتني أول مرة يا داميان...

الآخــــــر : الآخر (منتفضاً يصدها في فتور) ماذا تقولين؟ لك

داميان.. لست كوسمى ، لقد قلت ذلك من قبل ..

لاروا : (تقترب منه من جديد) لا ، لا تخدعنى .. أعرفك جيداً .. كان مذاق تلك القبلة دماً ، أعرف أنك قتلته ..

الآخر : من أجلك .. أليس كذلك؟

لاروا : نعم من أجلى ..

الآخر : أنا لا أعرفك .. من أنت؟

لاروا : أنا لاروا .. حبيبتك

الآخر : حبيبتى ؟ حبيبة من؟

لاورا : حبيبة أى منكما ، حبيبتك؟

الآخر : إن ما تودين معرفته هو مذاق قبلة الآخر ، تحبين قابيل وليس هابيل ، تحبين من ارتكب جريمة القتل .. القاتل.

لاورا : القاتل الذى ارتكبها من أجلى ..

الآخر : وإذا كان حبيبك هو الذى قتل حبيب الأخرى ليتمتع بها ؟

لاورا : مستحيل .. مستحيل .. وإن كنت لا أعرف .. لا أعرف...

الآخر : آه كم تعرفين .. إذن فقد كنت تحبين داميان وليس كوسمى؟ اجيبى كنت مغرمة بزوج امرأة أخرى؟ أجيبى..!

لاروا : كنت مغرمة بك...

الآخر : قولى لى ، عندما وصلت إلى رأينا أحببناك وأردناك كل الاثنين ، ولكن من منا يطلبك أنت؟ .. الاثنين؟

لاورا : بما أننى لم أكن أميز أحدكما من الآخر ..

الآخــــــر : على الحب أن يميز..

لاورا : ولكنكما كنتما متشابهين تماماً.

الآخــــــر : متشابهان ؟ ما أشد عذاب أن تولد اثنين.. ألا تكون واحداً إلى الأبد .. أن تكون نفسك.

لاروا : ألذلك كره كل منكما الآخر؟

الآخــــــر : وكره كل منا نفسه.. إن الغيور يكره نفسه.. ويكره نفسه أيضاً من لا يشعر بأنه مميز. وأنت.. أنت (يضغط على رأسها) أنت كنت تريدين ...

لاروا : أريدك أنت...

الآخــــــر : لا، بل كنت تريدين الآخر.. كنت تحبين من لا تجدينه أمامك ... الغائب وعندما كنت تجديننا معاً كنت تكرهينا نحن الاثنين .. من الذى كنت ترغبين فى الحقيقة؟

الآخــــــر : هيا ... قوليها.. من ؟

لاورا : أنت أرغبك أنت ... لقد قلت لك ذلك من قبل.. أنت .. أنت . .. الآخر.

الآخــــــر : كل واحد يرغب دائماً مالا يملك.. والآن؟

لاورا : الآن..

الآخــــــر : نعم.. الآن.

الآخــــــر : أرغبك أنت..دائماً أنت

الآخــــــر : لا، لست أنا... بل الميت.. الآخر.

لاورا : ولكن الآخر..

الآخــــــر : بالتأكيد هو أنا

لاورا : أنت لى.. لى.. لى.

الآخــــــر : لك .. من؟

لاورا : أنت

الآخــــــر : وأنا ... من ؟ كيف تعرفيني ؟ أين العلامة (تحاول لاورا الكشف عن صدره) كفى يديك.

لاورا : ألا تدعنى أبحث عنها؟

الآخــــــر : نعم.. نعم فأنت فى نهاية المطاف كسائر النساء امرأة فضولية أكثر منها محبة، تتساءلين .. كيف يكون الآخر من الداخل ياتري ؟ ما هو الفرق بينهما العلامة الخفية التى تميز بينهما أين الشامة ؟ ولكن .. أأنت على يقين من أنه لم تكن للآخر نفس العلامة ؟

لاورا : ..التى وضعتها أنا ؟

الآخــــــر : كفى يديك ... لذلك لم أنم أبداً عارياً فى متناول يديك.. كفى يديك آه من النساء.. أنتن الرياء نفسه..

لاورا : على غرار ماحدث ذلك اليوم..

الآخــــــر : إنك لا تعرفيننى .. لا تعرفين القاتل.

لاورا : نعم أعرفك

الآخــــــر : (ينهض) أحقاً تعرفيننى؟ تعالى هنا... (يأخذ رأسها بين كفيه ويدقق النظر فيعينيها) انظرى لي جيداً .... ماذا ترين. ؟

لاورا : دماء

الآخـــــر : أترين قابيل؟

لاروا : داميان .. كوسمي..

الآخـــــر : أترين هابيل؟

لاورا : بل كوسمي .. داميان..

الآخـــــر : أترين الآخر

لاورا : كفى ... إنك تقتلني .. تقتلني .. سأتركك لها.. لها للأخرى .. (تخرج هاربة).

الآخـــــر : الأخرى...

المشهد الثالث

الآخر- داميانا :

دامـيـانـا : يجب أن ننتهي من هذا الأمر

الآخـــــر : بل يجب أن نبدأه

دامـيـانـا : أنت محق.. بل يجب أن يبدأ كوسمي.

الآخـــــر : كوسمي؟... لا.. أنت تعرفين جيداً من أنا..

دامـيـانـا : أنت .. زوجي .. ملكي.

الآخـــــر : نعم، ملكك من أغويته ... أيتها المرأة الرهيبة الدامية ...

(يجلسـان ، تحـتـضنه دامـيـانا : كـمـا لو كـانت تريد

احتواءه نربت عليه كما لو كان طفلاً)

دامـيـانا : أشعر بما تعانيه ... من أجلي .. فمن أجلي قتلته...

الآخـــــر : اصمتي يا امرأة

دامـيـانا : لماذا لا تناديني داميانا ؟

الآخـــــر : هذا الاسم ...

دامـيـانا : يذكرك بـ ... أعلم بمن يذكرك

الآخـــــر : يذكرني بالآخر... بنفسي

دامـيـانا : لم أتخلص من الرغبة فيك منذ أن عرفتك... عندما أتيت لحضور حفل زفافي على شقيقك... كنت أتساءل وأنا في أحضان زوجي ... كيف هو الآخر يا ترى؟ كيف تكون قبلاته .؟أهو مثل زوجي؟

الآخـــــر : أي أنك عندما استسلمت لي بعد الزواج لم تكوني لي؟

دامـيـانا : إذن أنت...

الآخـــــر : الآخر

دامـيـانا : أيا كنت أنت لي...

الآخـــــر : ولكن من أنا ... أتعرفين؟

دامـيـانا : بالطبع نعم

الآخـــــر : أما أنا فلا أعرف من أكون ...يقولون إن الجنون هو أن تجد نفسك ذاهلاً في شخص آخر.. آخر...

دامـيـانا : ولكن لم ير أحدنا الآخر حتى الآن.. أي لم نعد اللقاء مرة ثانية .. لم نلتق وحدنا أنا وأنت فقط.

الآخـــــر : بل التقينا .. .وتلامسنا وحدنا عاريين.

دامـيـانا : نعم... على أن أخلع عنك ملابسك كما أخلعها عن طفل... لأضجعك وأغنى لك.

الآخـــــر : لتبحثى عن الشامة...

دامـيـانا : ولكننى لست فى حـاجـة للبـحث عنهـا .. إننى أراها من خلال ملابسك.. .علامتى.

الآخـــــر : أى علامة ؟ من أى نوع ؟

دامـيـانا : علامة من أملك.

الآخـــــر : أنتما الاثنتان تقتلاننى.. قتلتما واحدا منا... وها أنتما تقتلان الآخر (ينفجر فى البكاء)

دامـيـانا : يالك من إنسـان ضـعـيف ... لكن .... نعم سـأقـتلك.. أنا على استعداد لقتلك، لقتلك ألماً وندماً إذا لم تعترف بأنك لى.. بأنك من استوليت عليه وامتلكته ، إذا لم تترك هذا المنزل الملعـــون.. مـنزل الميت.. مـنزل لاورا :، إذا لم تتركها.. إذا لم تأتى معى وتصبح لى وحدى ... وحدى... وحدى، دع الميت دع امرأته .. دع الأرملة.. دع السجـان وتعال معى ... أنا وأنت فقط... فهى الأرملة زوجة أى من كانت ... والآن وبما أننا وحدنا فسأقول لك الحقيقة:

قد استوليت عليكما امتلكتما أنتما الاثنين ولكنك لا تريد أن تعترف من.. لا تريد أن تقول من أنت. لأنك جبـان.. جبان.. جبان .

الآخــــــر : لقد جعلت كلا منا يكره الآخر... يقتل الآخر.

داميــانا : أنا أم الأخرى ؟

الآخــــــر : الغيرة ؟

داميــانا : نعم ، إنها مرعبة ... وسواء كنت هو أو الآخر فلن تكون لها ... لقد انتزعتكما منها ... لقد احببتماها لكى تنقسما على نفسيكما ... لكى يكره كل منكما الآخر... وأحببتكما لكى أوحد بينكما فى حبى ...

الآخــــــر : لقد فرقت بيننا... لقد سممت حياتنا .

داميــانا : لست أنا بل الأخرى.

الآخــــــر : كل منكما أخرى ... لافرق بينكما فكلاكما امرأة .. وكل النساء واحدة تستوى فى ذلك امرأة قابيل وامرأة هابيل. لا فرق بينكما نفس الشراسة والرغبة فى الانتقام.

داميــان : هل يعنى هذا أنك أصبحت تكرهنا..

الآخــــــر : بقدر ما أكره نفسى.

داميــنا : (هامســة فى أذنه) ولكنك امـتلكتنى وكنت لك ... بل وامتلكتك أنا ، وكنت لى ...

الآخــــــر : ماذا ؟ أنك لا تعرفينه .. لا تعرفينى ؟

داميــان : نعم امتلكتك .

الآخــــــر : إذن فأنت ترغبين الآن فى العودة لامتلاكى...

داميــانا : لذلك...

الآخــــــر : لا ياداميانا إياك...

داميـانـا : أن الأ خرى...

الآخــــــر : آه ... أيا كنت أنا ... كوسمي أم داميان الذى امتلكت أو الذى لم تمتلكى فأنت تريدين أن تنتزعينى من الأخرى..

داميـانـا : ولكننى فى تلك الأيام التالية للزفاف ، أتتذكر؟ ... علينا فى ساعة المصارحة هذه ... أن نعترف بكل شيء ... فى تلك الأيام الأولى من شهر العسل..

الآخــــــر : بل شهر المر

داميـانـا : امتلكتكما معا ، تمتعت بكما الاثنين ... بك وبالآخر وخدعتكما معاً.

الآخــــــر : هذا ما تعتقدين ، لقد اتفقنا نحن الاثنان معا على خداعك ... تظاهرنا بأننا وقعنا فى شراكك ... وحقيقة الأمر أنك لم تتمتعى إلا بواحد منا فقط ... ولأن كلينا أراد أن يغزو الأخرى ، تولدت كراهية كل منا للآخر، وبذلك استطعنا أن نحمى أنفسنا من نقمتك أن من أسلمك نفسه كان زوجك .. ياله من مسكين... والذى كان يرفضك دائماً متظاهراً بالإنهاك كان الآخر... ياله أيضاً من مسكين لقد خفنا معا نقمتك.

داميـانـا : بل حبى .

الآخــــــر : حبك لذاتك ... لقد كان صراعاً مأساويا ، عندما اعتقدت أنك تتمتعين بالاثنين معا كنت تتمتعين بواحد فقط.

داميـان : بل وبالآخر أيضاً .

الآخـــــر : فليكن ما تريدين ...

داميـانا : بك .

الآخـــــر : ألم تقولى إنك تعرفين كل شيء؟

داميـانا : أى ... أكاد أجن !

الآخـــــر : ليس من الحب بطبيعة الحال ... بل ربما يكون من حب الذات وكبرياء الأنثى.

داميـانا : انتبه... سأقدم لك الدليل على أنك أنت.. أيا كنت ملك لى ...

الآخـــــر : دليل؟

داميـانا : نعم دليل

الآخـــــر : هاته

داميـانا : سأكون أما

الآخـــــر : (برعب) ماذا ؟ ماذا تقولين؟

داميـانا : سأكون أما ... أحمل في أحشائى ابنا لـ ...

الآخـــــر : لمن؟

داميـانا : لك...

الآخـــــر : لى أم للآخر؟

داميـانا : لكما باعتباركما واحداً. فمن يدرى وربما كان فى أحشائى اثنان، لأنى أحس صراعهما معاً ...

الآخـــــر : اثنان؟ اثنان آخران.. ياله من جنون..

داميـانا : المجانين هم فقط الذين ينجبون

الآخـــــر : والذين يقتلون ... ليس للرب ... ليس عليه أن يديننى بأن

يكون لى أبناء ، أن أعود من جديد لأكون ... آخر ...

دامـيـانـا : سوف تكونه ... وسوف أعطيك آخر ، صورة منك

الآخـــــــر : مرة أخرى ... أولد من جديد؟ ، لأموت من جديد ... لا ... لا ...

دامـيـانـا : ابن من هذا قل؟

الآخـــــــر : من المستحيل أن يكون لى ابن .. ليس للرب أن يكتب على أن يكون لى أبناء .. بأن أكون أخر من جديد.

دامـيـان : و... لاورا

الآخـــــــر : آه ، الأخرى ... إنكما معا أخرى ... فلتسكتى

دمـيـانـا : وهل تقول نفس الشىء للأخرى؟

الآخـــــــر : الأخرى ؟ إنكما معا أخرى .

دامـيـانـا : إذن فلتـأت مـعى ، ولننه هذا الأمـر أمـامنا نحن الاثنتين .. لك أن تـخـتـار واحـدة منا ؟ سنكشف أمـرك ، وسـأذهب لآتى بها.

الآخـــــــر : (محاولا ايقافها) لا تأتى بها لا أريد رؤيتكما معا.

دامـيـانـا : دعنى يا قابيل ... يا قابيلى.

المشهد الرابع

الآخر وحده

الآخـــــر : قـابيل ... قـابيل ... ها أنا الآن بين نقـمـة الاثنتين ، ولا سيما نقمة هذه ... بين نقمة الاثنتين .. بين المغوية والمغواة الغازية والمغزوة ... سيقتلانني ...

المشهد الخامس

الآخر – داميانا – لاورا

داميـانا : نعم لابد من إنهاء هذا الموقف يا لاورا .... لابد من إنهائه (متوجهة بالحديث للآخر) أنت ... !

الآخـــــر : من؟

داميـانا : قابيل ... أو من تكون ... قابيل ... قابيلى ... إنك قابيلى ، قتلت من أجلى ...

لاورا : لا... بل قتلت من أجلى أنا دفاعاً عن نفسى ...

داميـانا : دفاعاً عن النفس أو هجوماً عليها ... ألا يستوى الأمر؟ عليه هو أن يقرر... أنت قابيل عليك أن تختار واحدة منا ... أن تظل مـعى ... مع ابنك ، لتـرفض الأخـرى أو...

فلتقتلها لأنك ستبقى مع أم ابنك ...

الآخـــــر : أنا ... الآخر ، سأبقى مع الأخرى.

لاورا : ومن هى الأخرى ؟

الآخـــــر : من هى لي ...

داميـانا : داميانا

لاورا : (معا) أنا ، أنا ، أنا ...

الآخـــــر : لاورا

الآخـــــر : سأبقى مع من تكره نفسها كما أكره نفسى ، مع من تشعر بثقل الجرم ، على رأسها ...

داميـانا : أنا أشعر به ... أنا ، والدليل على ذلك أننى أطلب منك أن تقتلها ، لأنك إذ لم تقتلها فسوف ...

الآخـــــر : مزيد من القتل والموت ؟

داميـانا : نعم مزيدا من الموت ، إن الدم لا يمحوه إلا الدم . اقتلها وادفنها هناك فى القبو حيث رقد الآخر ميتاً ... حيث رجلها فهى امرأة الميت ، زوجة المهزوم أيا كان ...

الآخـــــر : المهزوم ؟ ... ومن المهزوم ؟ أنا أم هو ؟

داميـانا : أنت الحى ... أنت الأب.

لاورا : ومن هو الأب؟

داميـانا : من ليس لك

الآخـــــر : لا... أنا الأكثر موتاً

داميـانا : حسن ... إذا كنت أنت الأكثر موتاً فاقتلها.

لاورا : آه ، لا ،لا ، لا ، لا أريد مـــــزيدا من الموت بل يجب أن يعيش وألا تكتشف الجريمة ، وأيا كان القاتل فأنا أعلم جيداً من هو ، ولهذا سوف أرحل بعيداً ... سأتركه لك ... لايمكننا اقتسامه ... سأتركه لك.

داميانا : على غرار ما حدث فى حكم سليمان ، أليس كذلك .... أتتظاهرين بالمكر والذكاء والكرم ... أن تمثل كل الجبناء ، مثل كل المغرر بهن مثل كل المخدوعات ... مثل كل العاشقات.

لاورا : أنا ... أنا ... عاشقة .

داميانا : نعم أنت العاشقة .

لاورا : وأنت؟

داميانا : أنا ؟ أنا الغازية ، أنا المغوية ، أنا المحبة ، أنا ... المرأة ... أنا امرأة الأول والآخر ... امرأتهما معا ... أما أنت فلست إلا المعشوقة لم يكن لقابيل معشوقة ، بل كانت له امرأة ... امرأة عاشقة غزته . أما المعشوقة فكانت لهابيل ... وكان هابيل الغازى ، أما قابيل المسكين ، قابيل المسكين تعرض للغزو ، تعرض للغواية. أما هابيل فلم يعرف المعاناة . وأنت لم تمتلكى منهما إلا واحدا ً، الذى امتلكك ، أما أنا فقد امتلكت الاثنين معاً، الاثنين ، من امتلكك والآخر .. الاثنين معاً.

لاورا : كاذبة ، كاذبة ، كاذبة .

دامـيـانا : امتلكت الاثنين.. ومن أجلي اقتتل ... من عاش فهو ملكي عن جدارة ، لأنه الأقوى والأكثر حظا ، لأنه استطاع أن يقتل الآخر.. استطاع أن يقتله لأنه أكثر حباً لي . لقد وهبته القوة والحظ ، وأحمل الآن بين أحشائي ابنا له .. حانت ساعة الانتقام لهذا الميت ... الموت لا يطهره إلا... !

الآخــــر : موت أخر ... توقعته .

دامـيـانا : إذن ...؟

لاورا : إنكما تقتلانى.. تقتلانى ... إنك تقتل لاورا حبيبتك.

دامـيـانا : حبيبته؟

الآخــــر : لا ، لا تصرخا ... سوف يسمعنا السجان ، مروض المجانين.. سوف يسمعنا القدر.. سوف يسمعنا هذا الآخر (يشير إلى السماء) وهذا الآخر.. يشير إلى الأرض.

دامـيـانا : فليسمع ، وليأت ... ليضع حدا لهذا الأمر إلى الأبد.. لأننا جميعاً قد أصابنا الجنون.

المشهد السادس

الآخر – داميانا – لاورا – ارنستو

ارنســتــو : (يدخل) ها أنا مروض المجانين قد جئت

الآخــــر : والسجان والقاضى الجنائى

ارنستــو : سنقف على الحقيقة

دامـيـانا : إن شقيقتك لاورا ... هذه المغزوة ... المغواة.. العاشقة ... القطة الميتة ... دفعت داميان إلى قتل أخيه كوسمي ... وكان غايتها أن تعرف مذاق الآخر.

لاورا : لا... بل كانت هي ، الغازية ... الغاوية ، النمرة المسعورة ، التي عـشـقت زوجي فكادت للآخـر ، فـقـتل أخـيـه ، زوجـهـا ... لكي تنفرد بحبه ، إنها هي من أرادت أن تعرف مذاق الآخر.

دامـيـانا : لقد كانت تعرف .

ارنستــو : (متوجهاً بالحديث إلى الآخر) وأنت؟

الآخـــــر : أنا ؟! ، أنا لست بقادر على نفسي ... سأنصرف من هنا ، إن واحدة تجذب أحدنا ، والأخرى الآخر ، وأنا ممزق بين الاثنتين ، إنه لأمر مخيف أن تجر وراءك نقمتي القدر والحتمية ... مطلقتا السراح ... إنه لأمر مخيف أن تحمل ميتاً في داخلك ... أن تحمل على كتفيك امرأتين ... إن عقاب من يغزو امرأة أن تغزوه أخرى.. لينتهي الأمر بالغوى فيصبح مغويا ... يا للهول ألا يستطيع الإنسان أن يكون واحداً إلى الأبد.. أن تكون نفسك ... نفس الشخص ... أن تولد واحدا لتموت واحداً.. أن تموت واحداً.. واحدا... واحدا ... أما أن تموت آخر . مع آخر ... مع آخرين ...! الآخر يقتلني ،يقتلني . لكن فلتكن إرادته في

الأرض كما هى فى السماء.. حيث أذهب (ينصرف).

المشهد السابع

ارنستو – لاورا– داميانا

ارنســتــو : داميانا ... ! إن هذا لأمر مستحيل ، يجب ألا يستمر هكذا ... إن منزلى هذا لا يمكن أن يظل منزل مجانين ، ومقبرة ، وجحيم ... فلنهل التراب على الجريمة ... وعلى الميت ، لكن ...

داميــانــا : أعلى أن أرحل دون قابيل ... دون قابيلى؟ لا... لا محال ... ولإيجاب ... سآخذ مالى ... سآخذ حبيبى ، بعيداً، بعيداً، بعيداً جداً... أما هى فستبقى هنا أرملة ، ستظل مع الميت ، مع من لها..

لاورا : خذيه ... قلت لك.

ارنســتــو : لن يحدث هذا ... لن تأخذه لن تستطيع أخذه.

لاورا : سأفقد زوجى....

داميــانــا : زوجك ؟ إن الجريمة أيا كان القاتل ، جعلته ملكاً لى ...لى ... لى. (تأخذ لاورا من ذراعيها وتحدق فى عينيها) ألا ترينه ؟ ألا ترينه؟

لاورا : دعينى أيتها الشيطانة ...

داميانا : ألا ترين ؟... ألا ترين المشهد ؟ ألا ترين أن من غزاك غزوته أنا ليبقى لى أنا وحدى؟ لأننى عندما أتيت ... إنما جئت تلبية لندائه ، لنداء قابيل ...

لاورا : كاذبة ... كاذبة ... كاذبة ...

ارنستو : كلكم كاذبون .. ليس من سبيل لمعرفة الحقيقة ... والحقيقة الوحيدة الجلية هو أن هذا أيا كان قاتل أخيه ... إن هذا أيا كان قد جلب دياجير الظلام إلى هذا المنزل ... ويقضى العدل الإلهى بـ ...

الآخر : (من الداخل) بالموت ... الموت لقابيل ... قابيل ... قابيل ... قابيل. ماذا فعلت بأخيك يا قابيل؟

ارنستو : (يحاول السيطرة على المرأتين اللتين تحاولان الذهاب إلى الآخر... فيغلق عليهما الطريق)

الآخر : (من الداخل) لاورا ...

لاورا : إنه صوته.

الآخر : (من الداخل) داميانا

داميانا : إنه صوته

الآخر : (من الداخل) داميانا ... سنترك فيك بذرتنا اللعينة ... آخرين منا ... النقمة ... النقمة ... فليمت قابيل ... فليمت هابيل بالمفتاح والمرآة... فليموتا .

(يسمع صوت جسد يسقط، وفى الوقت الذى تطل فيه المرأتان جامدتين من الخوف يذهب ارنستو ليرى ما حدث)

المشهد الثامن

لاورا – داميانا

لاورا : لقد قتلتيه .... قتلت زوجى

داميانا : كانا الاثنان ملكا لى (تحاول إيقاف لاورا التى تريد الخروج) إلى أين؟ ، أتريدين رؤية الميت الآخر؟ لقد بات الاثنان واحداً ، مات الاثنان ... فدعى الموتى فى سلام .

لاورا : لقد قتلتيه ...

داميانا : قتل كل منهما الآخر ... يا لهما من مسكينين ... أنا الأم

لاورا : والأب ... من هو ؟ هل أنت على يقين من أن هذا الابن الذى تنتظرين ...

داميانا : الذى أملكه بالفعل ...

لاورا : هل هو من زوجك؟

داميانا : يستوى الأمر بالنسبة لى ... سواء كان من زوجك أو من زوجى.

لاورا : يا للهول ...!

داميانا : يا للهول؟ بالهول ننسج السعادة ... النصر... إنها الحياة يا مسكينة ... إنها الحياة. من يهب الحياة يهب الموت، إن صدر الأم مهد.

لاورا : وصدرك لحد .

دامـيـانـا : اللحد مهد والمهد لحد ... إن من تعطى الحياة لإنسان لكى يحلم بالحياة – فالحلم هو الحياة – تعطى الموت لملاك ينام فى سعادة أبدية ... أبدية لكونها فارغة ... المهد لحد ... صدر الأم لحد.

المشهد التاسع

لاورا – داميانا – المربية

ثم يدخل ارنستو

المـربيـة : ماذا ؟ هل توصلتما إلى اتفاق (تنظر للمكان الذى يرقد فيه الآخر) بنى ... بنى ... كم خشيت ذلك.

ارنـسـتـو : (يعود) من هو؟

المـربيـة : أتسأل الآن؟ إنه الآخر ... الاثنان ... فلندفنهما معاً.

لاورا : (موجهة الحديث إلى داميانا) قاتلة... قاتلة.. قاتلة... قابيلة أنت ... لقد قتلتيهما ... قابيلة أنت.

دامـيـانـا : مسكينة أنت أيتها الضحية ، مسكينة أنت أيتها العاشقة، مسكينة أنت يا أرملة الاثنين ، مسكينة أنت يا هابيلة ... أيتها العاقر ... هابيلة البريئة ... الراعية المغواة ... الراعية العاشقة ... لقد استوى الأول والآخر لديها ، كنت أول من مد يده ليلتقطها ... كنت فريسة لأول صائد ...

مسكينة أيتها الحمل الوديع ... مسكينة هابيلة ... مسكينة الراعية العاشقة ... هيا فلتقدمى لربك قرابينك ، مسكينة هابيلة . سأرحل أنا حاملة من لى ... حاملة أبى أو أبنائى ... وحاملة أيضا أباهم .

المربيـــة : ألا تريدان الصمت يا نقمتى الزمان ... دعا الموتى فى سلام .

ارنســتــو : الموتى هم الذين لا يدعون الأحياء في سلام ... إن موتانا هم الآخرون منا .

لاورا : أريد أن أموت ... فلم العيش بعد ؟

دامـيـانا : أما أنا فلا ... على أن أعيش لأهب الحياة لآخر ... لابنى أو إبنيً ... من يدرى فربما كنت أحمل اثنين فى بطنى ...

لاورا : يا للهول!

دامـيـانا : هول ؟ اثنان كـ " عيصو ويعقوب " ... قولى لى أيتها المربية ألم يتعاركا فى رحم أمهما متنافسين على من يخرج الأول إلى العالم ؟

لاورا : وما أعلمك بذلك ؟

دامـيـانا : إننى أشعر بصراعهما فى أحشائى متسابقين فى الخروج إلى الدنيا ولكى يخرج بعد ذلك أحدهما الآخر منها ... من الدنيا ... غنى لموتاك فسأغنى أنا لأحيائى ... أنت، لم يكن لك أحد ولن تهبى الحياة لأحد ... الحياة تقتل ولكنها تهب الحياة ، تهب الحياة في الموت نفسه (تنظر إلى

بطنها وتتحسسها بيدها) ياله من سلام بلا مضمون . إنه هو ميتى ... أما أنت فمن تحيا لى ، ياحياتى يابنى (متوجهة بالحديث إلى لاورا) اذهبى فى سلام مع شقيقك . سأحقق الأمومة بالحرب ولن انتظر سلاما بعد اليوم من هنا ... من هذا السلام الكاذب (تشير إلى بطنها) المهد والحد ، تولد من جديد هنا حرب الاخوة الأبدية ... ها هما ينتظران اليقظة وبداية الحلم هنا ... الآخران .

ستـــــــار

خـــاتمة

ارنستو ـ دون خوان ـ المربية

يجلسون حول المائدة

ارنســتــو : لم يعد لهذا الأمر أهمية من وجهة النظر القانونية ، أيا كان من قتل الآخر وانتحر فيما بعد ، أما فيما يتعلق بالأرملتين فهما فى موقف آمن ، وليس علينا أن نحقق فى جريمة ارتكبها مجنون ...

خـــــوان : ولكن اللغز مازال قائما ، وعلينا حله ... الكشف عنه.

المربيـــة : وما الغاية من ذلك ؟ دعوا اللغز يتعفن كما تتعفن أجساد الموتى ...

ارنســتــو : لكن ... ، قولى لى ، فأنت تعلمين جيدا ... من الذى قتل من ؟ ولماذا تنازعا ؟

المربيـــة : أى قتيل ؟ الأول أم الثانى ؟ الذى قتل الآخر أم الذى انتحر ؟ أو بمعنى آخر، من الذى مات بيد الأول؟

ارنســتــو : يستوى الأمر ... من هو الذى عرفت ، الذى انتحر؟

المربيـــة : فلتسأله .

خـــــوان : لقد كان مجنونا .

المربيـــة : بالضبط ... كلنا هذا المجنون ... بنسب متفاوتة ، لو لم يكن الإنسان مجنونا ما استطاع التعايش مع المجانين ..

فضلا عن أنه هو نفسه لم يكن يعلم من هو .

خـــــوان : والمرأتان ؟

المربيـــة : مـجنونتـان أيضـا ... الاثنتـان أصابـهمـا الجنـون . جنون الرغبـة فى قابيل ، فكل منهمـا كانت تشتـهى الآخـر ... تشتهى من لم تعرف ، استولت عليهما الرغبة واعتقدتا أن من بقى كان زوج الأخـرى ... لقد تعلقتا بجنون بالقاتل ... بقابيل معتقدة كل منهما أو راغبة فى أن يكون قد قتل من أجلها . المرأة الحق ، أى الأم ، هى التى تعشق قابيل لا هابيل ، لأن قابيل هـو الذى يعـانى ، هو الذى يتـألم ... إن أعظم قصص الحب كان كبار المجرمين ملهميها .

ارنســتــو : ولكن دامـيانا ، عندمـا وصلت إلى هذا المنزل باحـثـة عن زوجها ، أكانت تعتقد أنه اختفى ، أم أنها جاءت بناء على دعوة من الآخر، دعوة من زوج لاورا لكى يعيشا معا ؟ أم أن داميان هو الذى استدعاها ؟

المربيـــة : من يدرى ؟

ارنســتــو : هى ... أى داميانا ، لقد قالت شيئا لدى وصولها ، وبعد ذلك ، قبيل أن ينتحر الثانى ، قالت شيئـا آخر ... متى كذبت ؟

المربيـــة : وكيف لى أن أعرف .. ربما كانت كاذبة فى المرتين ...

ارنســتــو : مستحيل

المربيـــة : يكذب الإنسان عندما يقول الحقيقة التى لا يؤمن بها ...

لماذا علينا أن نجرى وراء اللغز ...؟

خـــــوان : وهو ؟ هو نفسه؟ أكان فى جنونه يعتقد بالفعل أنه الآخر؟ مسكين بنى ... لقد دفعه الندم القاتل إلى الاعتقاد بأنه الضحية ... بأنه المقتول ... يؤمن الجلاد أنه الضحية فهو يحمل داخل نفسه جثمانها ، ومن هذا الاقتناع ينبع ألمه . إن العقاب الذى يقع بأى قابيل هو أن يشعر بأنه هابيل ، وعقاب هابيل هو الشعور بأنه قابيل ...

ارنســتــو : منذ أن عرف العالم الموت ... منذ هبوط أول آبائنا ... والدى قابيل وهابيل ... نعيش موتى ...

المربيـــة : إن الحياة جريمة ...

خـــــوان : وأنت يا سيدتى ... لقد كنت تستطيعين التمييز بينهما ، إن لم تتعرف المرأتان عليه فبسبب الرغبة التى أعمتهما ، أما أنت يامن التى ينير حب الأمومة قلبها ... كنت تعرفين ... كنت تميزين ... من كان ؟

المربيـــة : لقد نسيت ... إن الشفقة والحنان والحب تجعلنا ننسى ... إننى أحب قابيل بقدر ما أحب هابيل ... الأول بقدر الآخر . أحب هابيل باعتباره مشروع قابيل ... باعتباره قابيل بالرغبة ... أحب البرىء بسبب ما يعانيه من احتواء المذنب داخلة ... يثقل الشرف على الشرفاء بقدر ما يثقل الذنب على المذنبين .

ارنســتــو : قال القديس بطرس إن الرحمة تغفر كل الذنوب ...

المربيـــة : الرحمة تدفع بنا إلى النسيان . الغفران هو النسيان ... آه من هؤلاء الذين يغفرون ولا ينسون ... جحيم ... أن تغفر ولا تنسى ... يجب أن يغفر للمجرم جرمه ... وللفاضل فضله ... وللمتكبر كبرياؤه ... وللمتواضع تواضعه ... يجب أن يغفر للجميع مولدهم .

خـــــوان : ولكن اللغز باق إلى الأبد ...

المربيـــة : اللغز ؟ اللغز هو القدر ... هو القضاء ... لماذا نزيح الستار عنه ... أتستطيع العيش إذا علمت قدرك ، مستقبلك ويوم موتك ؟ أيستطيع العيش من يعلم غيبه ومصيره ؟ فلتغلق عينيك على اللغز ... إن الجهل بساعة موتنا تهب لنا فرصة التمتع بالحياة . إن لغز المصير والجهل بحقيقة من نكون يهيئ لنا الفرصة فى أن نحلم ، الحياة حلم ... فلنحلم بقوة القدر ...

خـــــوان : ولكن السر .. السر ... نعيش دون أن نعلم سر الماضى ... نجهل من كان وماذا كان ... أن نستسلم هكذا لعدم المعرفة ... ألا نملك الحل ...

المربيـــة : إنسان العلم ...

خـــــوان : بل إنسان فقط ... مجرد إنسان من يريد أن يعلم السر ... اللغز

المربيـــة : حسن يادون خوان ... بما أنك ذكى فاجمع كل ذكريات الميت ، اجمع كل ما لدى الآخرين عنه ، ادرسها وراجعها

ومحصيها وسوف تصل إلى حل .

خـــوان : حلى أنا ... ولكننى لا أبحث عن حل لى ... بل حل للجميع .

ارنســتــو : وأنا أبحث عن نفس الشيء.

خـــوان : فلنتصور أن القضية قد تثار علانية ... أنا أبحث عن حل عام ...

ارنســتــو : صدقت .. حل عام

المربيـــة : حل عام ؟ هذا ما لا يجب أن نكترث به.

خـــوان :
ارنســتــو : (معا) لكن اللغز ... ؟

المربيـــة : أتودون معرفة اللغز ؟

خـــوان : الحقيقة علاج

ارنســتــو : الحقيقة حل

المربيـــة ": (تهب واقفة ... وتتحدث بوقار) اللغز ... أنا لا أعلم من أنا ، وأنتم لا تعلمون من أنتم ، مؤلف هذه المسرحية لا يعلم من هو (يمكن أن نقول إن اونامونو لا يعلم من هو) ولا يعلم من هو أى من الذين يستمعون إلينا . فكل إنسان ميت ، دون أن يعرف نفسه، وكل موت انتحار ، انتحار قابيل . فليغفر كل منا للآخر لكى يغفر الله لنا جميعا .

ارنســتــو : وأنت يا سيدتى ... أتواصلين العيش فى منزل الموت هذا ... فى منزلك .

المربيـــة : منزلى ؟

ارنســتــو : نعم منزلك ... ومنزل الموت (ينصرف)

المربيــة : (متوجهة بالحديث إلى دون خوان) إنهم يتركوننا وحدنا معها ...

خـــــوان : مع المجانين والموتى .

المربيــة : إن أكبر لغزين هما الجنون والموت .

خـــــوان : وخاصة بالنسبة لى كطبيب .

ستـــــا ر